

التغيرات والتعديلات المحدثة على المسكن في ظل البيئة العمرانية الجديدة دراسة ميدانية بحري "أحمد دراية بمدينة أدرار" ..

العربي يوحسون

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)

علي بوزيد

المركز الجامعي الحاج موسى أق اخموك بتمنراست (الجزائر)

الملخص:

يتعلق هذا البحث الميداني بدراسة التغيرات والتعديلات المحدثة على المسكن في ظل البيئة العمرانية الجديدة، دراسة ميدانية بحري "أحمد دراية بمدينة أدرار" انطلاقاً من تحديد التغييرات والتعديلات المحدثة على المسكن، بعد استلامه وأسبابها وأهم الإجراءات القانونية المواكبة لها.

وقد بينت هذه الدراسة أنالسبب في إجراء التغيرات والتعديلات على المسكن بعد استلامه يرجع إلى رغبة الساكن في زيادة الانتفاع به ومعالجة أوجه النقص، كما توصلت الدراسة إلى أن مواصفات التخطيط لم ترقى إلى مستوى احتياجات وطموحات السكان بسبب عدم توافق النماذج والهندسيات مع نمط معيشة الفرد وثقافته.

الكلمات المفتاحية : التغيرات -التعديلات- المسكن - البيئة العمرانية الجديدة

Résumé :

Dans la présente recherche sur terrain ;ils 'agit d' une étude qui porteras les causes des changements et des modifications apportés aux logements récemment distribués dans un nouvel environnement urbain ;en l'occurrence la cité Ahmed Draria à Adrar.

Cette étude a montré que la raison essentielle de telle modification est due au désir de l'habitant de combler certaines lacunes en vue d' une exploitation maximale de logement.

Elle a révélé aussi que cette nouvelle planification ne répond pas aux aux aspirations de la population à cause de son incompatibilité avec le mode de vie individu-culturel de l'habitant.

Les mots clés: Les changements-les modifications- l'habitation-nouvel environnement urbain

الإشكالية

شغلت العلاقة بين الانسان والمسكن كأحد أشكال البيئة المبنية للعديد من الباحثين والمفكرين في محاولة تفسير الشكل الذي تكون عليه هذه العلاقة، والكشف عن طبيعة التأثير المتبادل. فالعلاقات المعنوية بين الأشياء الجامدة وتأثيرها في كافة الأفعال والأحوال الإنسانية، وتفصح المجال لإدراك المكان ليس فقط بصفة النظرة المادية المجردة، وإنما أيضاً كامتداد للأحوال الإنسانية التي تجعل من هذا الفراغ المجرّد الثابت مكاناً ذا طبيعة متلونة متحولة (1). وإذا كان مخطط المدينة يعبر بشكل من الأشكال عن تاريخها، (2) فإن المسكن من حيث شكله الهندسي والمواد المستعملة في بنائه تعكس الوضعية الاجتماعية لسكانيه. كما تعتبر الخصائص الاجتماعية للسكان عاملاً مهماً في تفهم العلاقة المتبادلة بين الساكن والفضاء السكني وتهيئته حسب هويته وقدرته الاقتصادية وبما يتناسب مع حجم الأسرة.

فتصميم الفضاء السكني يأخذ بعداً غير محدد. فالفضاء في حد ذاته ليس هدفاً، والإنسان ليس مادة لشغل الفضاء بالمعنى الذي تشغل به المادة حيزاً فراغياً في الطبيعة. بل والواقع أنه بمجرد أن يشغل الإنسان أي فراغ سكني تتولد لديه علاقة شعورية يصعب تعريفها بسبب تعدد وتداخل الأبعاد والمتغيرات التي تحكمها، إلا أنه وبفضلها يصير الفضاء قادراً على ان يوحى بمشاعر متنوعة كالصداقة والمواطنة، والخصوصية، الحب أو الكراهية، الخوف أو الأمان، الدفء أو البرودة، والانطلاق أو التقييد. (3)

وتوفير البيئة العمرانية المناسبة يحتاج إلى تفاعل المخطط والمصمم والمستفيد فلكل واحد منهما وجهة نظر معينة وجميعها تصب في توفير المكان الملائم للسكان وفق متغيرات بيئية وطبيعية واجتماعية واقتصادية وعمرانية مستمدة من الواقع الحقيقي لكل منطقة، وعدم الاعتماد على المخططات والتصاميم المستوردة التي لا تتوافق في كثير من الاحيان مع البيئة، لذا تتحول الى وباء على الانسان.

ومما زاد في المشكلة طبيعة ثقافة المجتمع، فعندما يسكن الحضر أفراد غير متحضرين تحدث مشاكل كثيرة بسبب سوء تصرفات البعض بما لا ينسجم والعرف الاجتماعي والتقاليد السائدة في المجتمع الحضري وخاصة من قبل الشباب والأطفال، فينتج عن ذلك علاقات غير طيبة بين السكان فضلا عن العبث بأجهزة الخدمات المختلفة فنقل من كفاءتها. فمدينة «أدرار» عبارة عن تجمعات سكانية وقصور، حيث عرفت هذه الأخيرة عدة تطورات وتوسعات سكانية، فهي متكونة من سكنات ذات شكل جديد. وسكنات قديمة أكثريتها وقع عليها تأثير بسبب هبوب رياح التحضر والتوسع السكاني فتغيرت الانماط السكنية؛ وأصبحت لا تتماشى مع ثقافة ساكنيه وهذا ما جعلنا نتساءل عن:

- 1- ما هو شكل وطبيعة التفاعل بين السكان والبيئة العمرانية؟ ونمط المسكن الحديث؟ وهل يتناسب هذا النمط من المسكن مع طبيعة الأسرة الأدرارية التي تتميز بكبر حجمها وتعدد واتساع أنشطتها داخل المسكن؟
- 2- ماهي طبيعة التغييرات والتعدلات على المسكن بعد استلامه، وأسبابها في ضوء الإجراءات القانونية المواكبة لها؟.

أولاً- الإطار المنهجي للدراسة: بعد المقدمة والإشكالية وهيكل الدراسة سننطلق باختصار إلى طريقة اختيار العينة وحقل الدراسة وتقنية البحث وكذا تحديد المفاهيم.

- **طريقة اختيار العينة:** المجتمع الأصلي في هذه الدراسة هو مجتمع مدينة أدرار بنطاقه الحديث "حي أحمد دراية بأدرار*". ففي إطار العينة التي اخترناها بما أنها مختارة بطريقة عشوائية كان يجب علينا اختيار متغير السن وتحديد متغير الجنس، لكن عند إجراءنا للمقابلات الميدانية اصطدمنا بكون الميدان فرض إجراء مقابلات فقط مع الرجال فكان متغير الجنس هو الرئيس مع الموضوع. وقد تكونت العينة من 70 مبحوث في حي أحمد دراية بأدرار.
- **حقل الدراسة:** وضع البحث هذا في إطار مكاني محدد ألا وهو حي أحمد دراية بمدينة أدرار وهذا لتقيد البحث بموقع جغرافي محدد.

أما الإطار الزمني فقد دامت مدته قرابة شهرين من 01 - 07 - 2014 إلى غاية 20 - 09 - 2014 وهي فترة إجراء المقابلات ثم البدء في تحليل هذه المعطيات من المقابلات.

- **تقنية البحث:**

اعتمد في البحث على المقابلة نصف موجهة، وهو ما استوجب علي استخدام « دليل المقابلة به ثلاثة محاور المحور الأول يتضمن طبيعة التغييرات والتعديلات المحدثة على المسكن، و المحور الثاني حول أسبابها والثالث حول موقف القانون من هذه التعديلات والتغييرات على المسكن.

ويمكن تعريف التغييرات والتعديلات على المسكن: بأنها التدخلات التي مست الفضاء السكني دون تغيير تركيبته وبنيته الداخلية أو هي المساهمة في تحسين حالة ترميمه وصيانته مع إضافة بعض التجهيزات الضرورية داخله.

ثانياً- التغييرات والتعديلات المحدثة على المسكن:

لقد عرفت العائلة الجزائرية مشكلة عدم التكيف مع الفضاءات السكنية التي تركها الأوروبيون في المدن فارغة؛ وذات تصميم غربي. حيث أنها تحمل معايير ومقاييس ثقافية أوروبية سايرت المجتمع الأوربي الذي كان يسكن هذه السكنات قرابة قرن ونصف. قبل قيام الثورة وهذا ما أشار إليه "MICHEL CORNATON" "التجمعات السكنية القديمة كانت مصرحة بأنها مناطق محظورة وهو ما يدل على أنه كانت هناك تقسيمات مركزية للتجمعات السكنية وهذا طبعاً قبل قيام الثورة وبعد الاستقلال امتلاك الشعب الجزائري هذه الفضاءات وبقي في صراع من أجل للتأقلم معها.

وبزيادة الكثافة السكانية في المدن من جراء النزوح الريفي الناتج عن سياسة التصنيع وقلة الأمن في الريف خاصة في الشمال وقلة العروض من المساكن مقارنة بالطلب المتزايد عليها وزيادة معدل شغل المسكن أدى ذلك كله إلى تفاقم أزمة السكن التي أثرت سلباً على تطور المدن. فما كان على الدولة سوى إنجاز مساكن سريعة لتلبية حاجيات السكان.

ويرجع السبب في إجراء التغييرات والتعديلات على المسكن بعد استلامه إلى رغبة في زيادة الانتفاع به ومعالجة أوجه النقص، سواءً في عدد الغرف أو المرافق أو جماليات المبنى حتى يلبي احتياجات الأسرة ويحقق أملها في مقرر تقضي فيه الأسرة معظم وقتها. وكلما قلت نسبة التعديلات أو تأخرت بعض الوقت كلما كان ذلك دليلاً على نجاح المشروع وحسن إنجازه والعكس كلما تمت تعديلات كبيرة وكانت هذه التعديلات في بداية استلام المسكن كلما دل ذلك على قصور المشروع وعيوبه وعدم ملامته.

وفي البحث الذي قامت به وزارة الإسكان والشؤون الاجتماعية عام 1993 عن إسكان ذوي الدخل المحدود ثبت أن 75% من مساكن العينة المقصودة بالدراسة أجرى عليها المستفيدون بها تعديلات وأن 65% منهم ادخلوا التعديلات في السنة الأولى من استلامهم البيت. وأن 60% ممن أدخلوا التعديلات يرغبون في إدخال تعديلات أخرى جديدة، وأن 70% ممن أجروا التعديلات كان هدفهم التوسع في المسكن للاستعمال الشخصي.⁽⁴⁾

ونسبة من أرادوا تجميل المسكن هي (26%) والاستغلال بقصد الإيجار هي (7%) وذلك يعني أن معظم التعديلات 70% ضرورية للأسرة. وكان يجب أن تتوفر في المسكن منذ إنشائه من قبل الجهات المختصة الرسمية وقبل تسليمها.

كما تعتبر التغييرات على المسكن وإعادة تنظيم هذا الفضاء السكني هي شكل من المقاومة وعدم تقبل الساكن لهذا الفضاء السكني بحالته الأولى، أو عدم تأقلمه معه مما يؤدي ذلك إلى الدخول في أزمة تملك المجال. وهي تشير إلى عدم التوازن بين الفضاء المبنى والمعاش فيه. كما أن المجتمع الجزائري في الأصل يريد تصميم فضائه السكني حسب رغبته وهويته بينما المجتمعات العربية تركز على تصميمات المهندسين المعماريين على حسب قول "حسن فتحي" إن أفضل ما يمكن أن يقدمه المسيررون في خدمة شعوبهم هو تركهم يؤسسون نماذجهم السكنية حسب رغباتهم.⁽⁵⁾

وانطلاقاً من هذه المقولة نحاول التطرق إلى التركيبة الداخلية للمسكن فحسب رأى "بوشانين" "Bouchanine" إن هذه التحولات داخل الفضاء السكني ناتجة إما على محاولة توسعته أو حمايته باستخدام الفضاء المجاور⁽⁶⁾. كما يعبر التغيير في بنية المسكن عن عدم تأقلم المسكن مع ثقافة المساكن. والهدف من هذه التغييرات هو الحفاظ على حرمة الأسرة وحمايتها من العالم الخارجي، وهو دليل على عدم تكيف احتياجات الفرد مع المسكن. كما أكدته "بونيتي" "Bounetti" "أن التغييرات في بنية المسكن تدل على أزمة ملكية الفضاء وعدم تكيف الفضاء المشيد "bâti" مع الفضاء المعاش "Vecu"⁽⁷⁾.

ويمكن تعريف التعديلات على المسكن: بأنها التدخلات التي مست الفضاء السكني دون تغيير تركيبته وبنيته الداخلية أو هي المساهمة في تحسين حالة ترميمه وصيانته مع إضافة بعض التجهيزات الضرورية داخله.⁽⁸⁾ والتعديلات داخل المسكن ضرورية. خاصة إذا كان نموذج المسكن لا يوافق طريقة المعيشة فتعجز الأسرة من القيام بوظائفها الأساسية، ويتم تقسيم الفضاء السكني بين مجال للرجال وآخر للنساء والأطفال. ومجال مخصص للنوم والآخر للأكل والجلوس... الخ. لأنه ناتج عن رغبات وثقافة الساكن نفسه. إلا أنه يلجأ إلى استعمال المهارات الفنية والمساهمات المادية والرمزية لإعطاء شكل وتأهيل الفضاء.⁽⁹⁾

ويتصل بموضوع إدخال التغييرات والتعديلات على المسكن ما شاهدناه في عينة البحث، وفي الأحياء الجديدة بالمدينة. كان قد مضى على تسليمها 06 أشهر فقط. ولكن الحي محل الدراسة مرت عليه 09 سنوات ولا تزال الأسر كل يوم هي في تغيير وتعديل المسكن نتيجة ما تفرضه التغييرات التي طرأت على أفراد الأسرة مما يستدعي التوسع في المسكن. وهذا لأن "الإنسان يجعل من رغبته في التموضع أمراً ملموساً من خلال قيامه ببناء فضاءه"⁽¹⁰⁾ أو هناك أمور كثيرة تنقص المساكن في الحي، مع أنها سكنات حديثة البناء وكثيراً ما نشاهد الارتجال في إنجاز المشروع وعدم الإشراف الدقيق. وأن هناك أخطاءً في التصميم والبناء نفسه وحسب أفراد عينة البحث الذين قابلتهم في الحي. قاموا بالشكاوي في مجلس الأمة، وطالبوا الأعضاء برفض التعاقد مع المقاولين لإنجاز بيوت مماثلة، وأهم المشاكل التي يعاني منها سكان الحي حسب رأي المبحوث. في المقابلة رقم 049.

أن الصور الخاص بالمسكن منخفض جداً بحيث يتاح لمن يقف في الشارع أو في المنزل المجاور مشاهدة من يجلس في الحوش، وهذا يمنع الأسرة من حقوق الجلوس والتمتع بفراغ مسكنها وعدم الحفاظ على حرمتها وحرية الحركة والتصرف في مسكنها.

كما ذكر الساكن (في المقابلة رقم 033) أن عُرِف المسكن ضيقة جداً وفقاً مساحتها (3×3.50م)، وفي المقابلة رقم (03) يشكي الساكن من عدم تواجد صالة لاستقبال الضيوف الرجال. ولذا فإن دخول أي ضيف يسبب إحراجاً للنساء ويجدد حريتهن في المنزل - ويشكو الأهالي في المقابلة رقم (07) أن هناك أخطاءً في تصميم المنزل. ذلك أن مياه الأمطار تتسرب إلى المسكن من المدخل الرئيسي لأن سطحه منخفض عن الأرضية الخارجية، وتتسرب من النوافذ لعدم وجود حاجز خرساني فوق النوافذ، ناهيك عن السطح أيضاً، حيث توجد به شروخ وتشققات، وقد شاهدنا تلك الأخطاء الهندسية في أكثر من بيت حيث تسببت في خسائر الأثاث والستائر والديكور.

وإذا استعرضنا مجموع شكاوي الأهالي وآرائهم نجد أن نسبة 83% من عينة البحث يصرحون بعدم ملائمة المساكن في خطتها ومرافقها مما اضطرهم إلى تغييرات وتعديلات في المسكن، وكان ذلك يتناول: غرفة الاستقبال، والصالة المخصصة للعائلة، والمطبخ، والحوش، "الفناء"، والحمام، وفتوحات "النوافذ". والجدول التالي يوضح نسبة التعديلات في المسكن (11).

النسبة %	العدد	نوع التغيير	
33.33%	20	إضافة غرف	تغيير جزئي
20%	12	تحويل الجراج إلى صالة للاستقبال	
13.33%	8	ترميمات	
15%	9	المطبخ	
13.33%	8		تغيير كلي
5%	3		لا يوجد تغيير
100%	60		المجموع

في هذا الحي "أحمد دراية" أجرت الأسر عدة تغييرات على المسكن وهذا ما تم ملاحظته خلال المعاينة الميدانية وحسب رأي قاطنيه وهوما يوضحه الجدول نجد أن نسبة 81.66% من المساكن طرأت عليها تعديلات جزئية مست إضافة غرف بـ 33.33% وتحويل جراج إلى صالة استقبال الضيوف بـ 20% والترميمات تمثل بنسبة 13.33% يصرح المبحوث في المقابلة رقم (051) "لم أقم بترميم البيت- أريد أن أبنيه من جديد ، لأن هذا النمط وتخطيطه لا يساعدي. في الحفاظ على حرمة البيت هذا نمط غربي".

أما فيما يخص التغييرات الجذرية فنجد نسبة 13.33% من مجموع العينة أجرت تغيير كلي في المسكن مثل توسعة الحمام باستغلال مكان المطبخ، وتحويل المطبخ إلى مكان آخر. وبناء صالة استقبال الضيوف عند المدخل بجوار الباب الرئيسي. ونجد نسبة 5% أي ثلاثة عائلات في المجتمع المدروس لم تقم بالتعديلات، وذلك حسب تصريح هذه العائلات في المقابلات رقم 46، 52، 54 لأنهم موظفون في قطاع التعليم ودخلهم لا يكفي للقيام بالتعديلات وعدد الغرف يلاءم الأسرة " ليس لدي أولاد كثير والدخل لا يكفي" وهم يقرون أن حجم المسكن يلائم العائلة لا داعي للتغييرات.

ومن خلال المقابلات مع سكان الحي والملاحظة بالمشاركة اتضح أن كل أسرة ترغب في تقسيم المسكن إلى مجالين الأول مرئي (Visible) يضم قاعة الاستقبال الضيوف، أما المجال الثاني غير مرئي (Non visible) وهو خاص بالنساء يتحركن فيه بكل حرية، ويمنع الرجال الأجانب من رؤية المنزل احتراماً لمكانة المرأة، والحفاظ على حرمة المسكن ويضم هذا المجال، المطبخ، الصالة العائلة، فهذا التقسيم ضروري في مجتمع البحث، مما يحفزهم إلى التغييرات والتعديلات الملحة على المسكن وهذا ما سنوضحه بالتفصيل.

1- غرفة الاستقبال "الصالة": تعتبر الضيافة أحد المفاهيم التقليدية لهذا المجتمع، وإن أهل الصحراء "أدرار" معروفون بحسن الضيافة والكرم، وهم مهتمون بهذا الفضاء، وهي أولى الغرف التي تقع بعد المدخل، أبعادها حوالي 3×4م، وغالباً ما يتم عزلها عن باقي الغرف الأخرى، كما يقول أحد السكان "الصالة دائماً تكون قريبة من باب الدخلة على جال الضياف كي يجو يدخلوا مباشرة، ولكي لا يرون المطبخ" (المقابلة رقم 09) فالمكانة المعطاة لهذا الفضاء هي لاعتباره مجالاً يبرز ثقافة الساكن، وهو موجه بالدرجة الأولى للأفراد الذين لا ينتمون إلى الأسرة أي (الغرباء) لذلك نجد الصالة

أجمل الغرف في المنزل، مؤثثة على أفضل ما يكون لأنها تتبني بمكانة الأسرة الاجتماعية، ويحظى هذا الفضاء بالاهتمام الأكبر فيما يخص الترميمات والترتيب، وتعكس مهارات أفرادها لأن فيها ابتكاراً وإبداعاً. كما يتم عزلها حفاظاً على حرمة الأسرة في الداخل وذلك بوضع ستار (ليزار) أو غلق الأبواب الأخرى عند دخول الضيوف حسب ما ذكره (Rapoport. A) المهم ليس في كيف الفصل بل لماذا يتم ذلك⁽¹²⁾ وحسب قول الأستاذ حجيح* في محاضراته: السبب في إقامة هذه التعديلات هو أزمة التملك المجالي حسب النمط المعيشي والذوق والثقافة للشخص وحسب الحشمة العائلية.

وتضم الصالة بعض المصاطب التي تستخدم كأرائك (جمع أريكة) بعد أن يتم فرشها بالحصر، والأخرى مجهزة بحلة مغربية بمعنى (سدريات) مرفوعة بطاولة خشبية في الوسط إلى جانب المكتبة "La bibiotheque" بإضافة إلى الزربية "Le Tapis" وهذا يكون حسب الإمكانيات، حيث يهيئ كل هذا للصالة طرازاً مميزاً وبالتالي تتميز في رونقها وجمالها وغالباً ما يكون هذا الفضاء كبير لاستقبال الضيوف وفصله عن باقي الغرف.

وهذا ما أدلت به إحدى القاطنات حيث قالت "غيرنا الديكور الأول للمنزل حيث أصبح لنا غرفتان كبيرتان لاستقبال الضيوف، كما استبدلنا الأرضية القديمة بأخرى عصرية مريحة" (المقابلة رقم 04).

وما يهم الساكن أن يكون الفضاء السكني نظيفاً دائماً ومرتب ثم يغلق الباب ليكون مجهزاً لاستقبال الضيوف، حيث تخصص غرفة غيرها يقضي أفراد العائلة أوقات الفراغ للجلوس لمشاهدة التلفزيون يطلق عليها "بيت القعاد". وثن الصالون يُظهر مستوى العائلة ويختار الأثاث للتأكيد على الوسائل المهمة الرمزية لهذه الغرف وتكون ثابتة، وتحظى بالعناية والنظافة التامة ونفقة لا بأس بها من دخل الأسرة مقارنة مع باقي الغرف لأنها تختص باستقبال الضيوف، فالساكن يريد أن يجعل هذا الفضاء صورة مرموقة وذات مكانة محترمة وهذا ما لاحظناه عند معاينة منازلهم، حيث أن أغلبية السكان أدخلونا إلى الصالة وبكل فخر واعتزاز منهم، وكأنها الفضاء الأكثر قيمة عندهم لاستقبالنا فيه.

ويحظى تنظيم المسكن وترتيبه وتأثيثه باهتمام وافر على حسب قول الأستاذ حجيح: الممارسات داخل الفضاء السكني تترجم النماذج الثقافية⁽¹³⁾ أي تعبر عن مستويات الأسر.

ولذلك فإن العديد من العائلات قاموا بتحويل الصالة إلى مكان قريب من الباب الرئيسي وقاموا بتعديلات عليها، أو بإنشائها من جديد لأنها لم تكن في المكان المناسب، وهذا ما صرحت به إحدى الساكنات: "قمنا بزيادة الصالة عند باب الدخلة لم تكن موجودة كنا في إحراج مع الضيوف، واليوم الحمد لله (المقابلة رقم 22)

فهذه الوضعية المرموقة للصالة بعيدة عن الأنظار وهذا ما توصل "إبراهيم بن يوسف في دراسة المجتمع "المزابي" بالجزائر، إلى أن تهيئة المسكن مرتبطة بالحرمة، وعلى تقسيم الفضاء السكني بين مجال خاص بالمرأة، يتضمن قاعة لاستقبال النساء فقط وتسمى "Tisefri" ومجال مخصص للرجال يسمى "الهجرات" "Alhijrat" يضم عدداً من الغرف وقاعة لاستقبال الأجانب وقد بنيت هذه القاعة في مكان منعزل عن المسكن تتميز بالاستقلالية عن باقي الغرف لها باب خارجي يطل مباشرة على الشارع.⁽¹⁴⁾

2- الصالة العائلية (بيت للقعاد): ويكون هذا الفضاء أقل حجماً من الصالة وفيه يقضي أفراد العائلة معظم أوقات الفراغ بالجلوس والتحدث ومشاهدة التلفاز وعرفته "بكار" "Bakkar.R" بيت القعاد على أنها قعدات تقليدية ومطراح

مفروشة في الأرض مقابلة للتلفاز وفيها "بنكات" و"السدة" و"مائدة" وتحل الحصيرة مكان الزربية وهو أقل رفاهية من الصالون ولكن أهل البيت يرتاحون فيه أكثر وتقول ربة المنزل بأنه: "بيت القعاد" تمثل لي الحياة طل على الحوش ومن فيه، يجو النساء يقعدوا معايا في بيت القصيد والرجال في الصالون مع راجلي، وهذه هي الحرمة". (المقابلة رقم 11) فيحدد تنظيم المسكن عدة عوامل ذكرها الأستاذ حجيج كالتالي: "البنية العائلية طبيعة العلاقات الاجتماعية دور ومكانة المرأة وأخيراً أهمية الحرمة".⁽¹⁵⁾

وبالتالي هذا الفضاء في جهة الحوش والمطبخ ونستطيع استعماله في استعمالات أخرى، حيث تستبدل غرفة لنوم الأولاد فيكون مكان التقاء الأفراد في النهار ونوم الأولاد في الليل.

في كل المنازل التي تم زيارتها، الصالة دائماً مغلقة لكي تكون مريحة ونظيفة مرتبة أما بيت القعاد فنجد فيها ألعاب الأطفال ومحفظاتهم وكتبا مبعثرة في أنحاء البيت، والملابس التي يغيرونها دائماً وأدوات خاصة بخياطة الأم، وكل هذه الأشياء تحتل المكان الأكبر في هذا الفضاء. والتلفاز يكون في بيت القعاد مع طاولة "ديمو" أما التلفاز الكبير في الصالون.

ومن هنا يتضح أن السكان لهم مقدرة في تقسيم وتنظيم الفضاءات حسب احتياجاتهم لها، ويقومون ببعض التغييرات الداخلية بمسكنهم أي ما يتعلق بمسألة تنظيم الفضاء السكني تختلف من مكان لآخر حسب تصوراتهم وآرائهم وقدرتهم المالية التي يتطلبها تحسين المسكن من صيانة وتعديل (أعمال البناء) والتي تشير إلى "سباق جامح تواجد به معظم الأسر الجزائرية بغية التوصل إلى قدرة أكبر للتصرف بالمساحة المسكونة".⁽¹⁶⁾

فالفضاء لا يُنظّم أبداً بصورة عفوية لكنه يبرمج هوية وثقافة السكان وحاجتهم البيئية.

3- المطبخ "La Cuisine": بالنسبة لهذا الفضاء يعتبر ذو أهمية في المسكن الأدراري ويلقب "بالكوزينة" حيث يأخذ المكانة الثانية بعد الصالون من حيث إجراء التعديلات عليه سنوياً تقريباً، وتكون المرأة وراء جُل التغييرات التي تتم بداخله وذلك أن أول ما تعده هو هدم (لبوطاجين) إعادة صنعه حسب تصوراتها، وذلك بوضع منفذ خاص قرب النافذة لانتقال رائحة الطبخ إلى الخارج وإعادة تركيب شبكة المياه، وكذلك الغاز حيث أن في هذا الحي أدخلوا مؤخر الغاز الطبيعي وبهذا فإن سكان الحي لم يصبحوا مضطرين إلى الإتيان بقار ورات الغاز من وسط المدينة وأصبح يزين المطبخ بالفخار الملون وتغير البلاط بنوع آخر يسمى "Dalle De Sol" ليأخذ المطبخ بهاء جديداً ويكون المطبخ في أغلب البيوت الخاصة مقابلاً للفناء (للحوش) نجد فيه طاولة كبيرة وكراسي لتناول الطعام، ولا يسمح لضيوف التجول في الفضاءات العائلية.

ورغم كل هذه التعديلات إلا أن معظم السكان يشكون من الضيق في المطبخ، حيث أن المرأة تؤكد أنها لا ترتاح إلا فيه، مما أدى هذا في بعض الأحيان هدم الديبارة المجاورة مع المطبخ لجعله متسع وهذا ما أكدته لنا الزوجة "الكوزينة جاتي صغيرة بزاف هدمت حيط أنتاع الديبارة ووسعت كوزينتي وهدوا عامين برك درنا البوطاجين" (المقابلة رقم 02) فجمال المطبخ يعكس صورة المرأة وهويتها.

4- وسط الدار والحوش السماوي (الفناء الداخلي): أكثر الفضاءات حيوية في المنزل حيث يؤدي إلي عناصر ومكونات المنزل الداخلية ويمارس فيه أفراد الأسرة العديد من الأنشطة اليومية كما يزدحم بكثير من أدوات المطبخ، ويوجد به السلم، وبجنب السلم المرحاض، في حالة وجوده. ويعتبر الحوش المكان الأنسب لالتقاء أفراد العائلة فيه، ولهذا فإن الفضاء أيضاً يأخذ نسبة في التعديلات كما وجدنا في معظم المساكن التي قمنا بدراستها، الحوش مزين

بالرخام (الفايونس) رغم أنه مساحة صغيرة إلا أنه مكان للالتقاء والقيام بكل التنظيفات في حالة تحسن الطقس (الرياح) ، كما قالت إحدى السيدات : "تبغي نقعد فالحوش كي نبغي نغسل الملابس ، كما أقوم فيه بقتل الطعام، أعمل كل شئ فيه..." المقابلة رقم 19. ونجد إن كل مساكن هذا الحي الغرف تطل على الحوش وكذلك يتخذنه مكاناً للأعمال الفردية النسائية كالخياطة أو غسل الصوف...

كما قالت إحدى السيدات: "في كل عشية في الصيف نقعد في الحوش ونبقى نبشم في الصوف ولا نغسل القش ولا نشربوا القهوة ولا نخيط..". (المقابلة رقم 26).

ويلاحظ في كل المساكن التي تناولها البحث أن كل السكان يضعون طاولة كبيرة مع كراسي ليتجمع أفراد العائلة حولها ويشربون الشاي أو القهوة وهذا دليل على أنه مكان للاجتماع العائلي ، وكذلك في حالة الضيوف في أيام الصيف يجلسون الضيوف في الحوش على حسب قول المبحوثة: "الضياف لا يحبون أن يضلوا في الصالون عندما يكون الحال حار يفضلون الحوش باش يشربوا لتاي ويدخنوا ويتفرجوا لا خاطر نديروا Théal في الصيف في الحوش". (المقابلة رقم 40).

ويهدأ فإن هذا الفضاء من المسكن يعد من أكثر الفضاءات حيوية بالنسبة لنساء بعد المطبخ.

5- الحمام والمرحاض: إلى جانب المرحاض والحمام فهما أيضاً يتعرضان للتغيير بإعادة تحويله من مكان إلى آخر حيث أن معظم العائلات حولت المرحاض لأنه كان في الأول في مكان غير مناسب حيث هو مقابل للصالة أو أمام المدخل فهناك مشكل نجده في مكان واضح للدخلة (ENTREE) ويوجد حشمة من مكان W-C toilette كما تقول المبحوثة: "بيت الماء لايريدها عند المدخل على خاطر عندما يأتي الضيوف يكون مقابل لهم فهذا يقلل الاحترام". (المقابلة رقم 41).

وأيضاً عند تحويله يقوم بتغيير البلاط جديد وطلائه وتوسيعه إلى جانب الحمام حيث قامت العائلات بوضع الرخام في كامل جدران الحمام وبعض العائلات قامت بتكليفه بوضع (le chauffe Bain) وتغيير الأرضية. فالحمام (sale de bain) يبين ثقافة الناس. فبحث الساكن عن التقاليد والعادات في ظل هذه التحويلات لا يعني الرفض المطلق للعصرنة والتجديد بل هو مزج بين العادات والتقاليد وما هو عصري وهو البحث عن هوية وثقافة الساكن في فضائه.

6- الفتحات في المسكن: يتكون الفضاء السكني من مكونات مادية مثل الأبواب والنوافذ، فالمهم ليس وجودها أو عدمه، بل كما قال "رابوبر" "Rapoport" شكلها، تموضعها واتجاهها هو الأهم.⁽¹⁷⁾ ويهتم الساكن في الحي ان تكن الفتحات من الجهة الشمالية بقدر ما يمكنه وذلك من للاستفادة من الرياح الشمالية الدائمة وكذلك لتوخي أشعة الشمس المرتكزة في الاتجاه القبلي (الجنوبي) أغلب ساعات النهار والتي تكون غير مطلوبة في فصل الصيف.

فكل أسر العينة تفضل النوافذ في الجهة التي تطل عليها الشمس، ومن التصريحات العديدة التي تؤكد هذه الفكرة تصريح لربة بيت: "تبغي النافذة من جهة طلوع الشمس" (المقابلة رقم 55).

وتفضل معظم الأسر سواء كانت من أصل جغرافي ريفي، النوافذ صغيرة الحجم ولا تطل على الشوارع العمومي وذلك لحجب الرؤية عن الخارج ولكي لا يزعجها ضجيج المارة، وللحفاظ على حرمة الفضاء الداخلي الأسري، وتكون محمية عن أنظار الغرباء، بينما الأسرة التي من الأصل حضري تفضل النوافذ الكبيرة والبيغض يضعون ستائر على النوافذ، كما أكدت إحدى الأمهات: "تضع الستائر باش البراني ولا الناس اللي برى لايري الداخل، والدار عندها حرمتها" (المقابلة رقم 18).

فهذا الاختيار وهذه الممارسات ما هي إلا تعبير عن تصورات الساكن وتمثلاته، تجسيدا لمفهوم الحرمة والستره عنده.

إما فيما يخص الأبواب فأغلب الأسر الحي أقامت بابا حديداً عند مدخل المسكن للحفاظ على ممتلكاتها وأمنها. وقد كان ما يقارب الإجماع من أفراد عينة البحث ممن قابلتهم في الحي وما لاحظته أثناء الملاحظة بالمشاركة في الحي على الملاحظات التالية:

1- غرف المسكن ضيقة جداً (3 × 3.50م).

2- لا توجد صالة لاستقبال الضيوف، خاصة الرجال وهو ما يتنافى مع ثقافة وتقاليد المنطقة.

3- جميع الشوارع بها توصيلات كهرباء ولكن اللمبات مكسورة ولم يتم إصلاحها منذ استلام مساكن الحي.

4- سطح أرض منطقة المساكن بالحي تنخفض عن سطح أرض مساكن 50 مسكن المجاور للحي مما يجعلها مجالاً لتخزين مياه الأمطار.

5- أرصفة الشوارع في حاجة إلى تبليط للقضاء على الأتربة وبقايا القمامة.

6- توحيد عدد غرف المسكن (02 غرفتان) لا يناسب الأسر كبيرة الحجم.

وقد أتاحت فرصة الاجتماع بأحد المهندسين الذين كانوا ينفذون المشروع وعرضت عليه الشكاوى الخاصة بتصميم البيوت في الحي. فأوضح أن هذه البيوت عبارة عن كتل جاهزة ذات تصميم غربي تم لصق الجدران بمواد كيميائية ومواد بناء عادية وأحياناً تحدث أخطاء في عملية التركيب فتحدث شقوق، وعند عدم ضبط قطعتي السقف فينفذ ماء المطر لأن السقف عبارة عن عدة طبقات من الخرسانة تعلوها مواد عازلة للحرارة والماء، وفي الأخير أعرب المهندس عن أمله في تحاشي هذه الأخطاء في البناء في المشروعات المستقبلية.

ثالثاً- أسباب التغييرات والتعديلات المحدثة على المسكن:

إن نفاقم أزمة السكن والإسكان بعد الاستقلال بالمدن أدى بمسؤولي قطاع الإسكان إلى زرع نمط جماعي جديد لهذا الأخير (الإسكان)، بطريقة عشوائية وبدون دراسة مسبقة لحاجات الأسرة الجزائرية، من الناحية الثقافية والاجتماعية والديموغرافية ومن أهم الأسباب التي يمكن سردها لهاته التعديلات:

- إهمال أسس الثقافة العربية وهو (الحرمة) إذ تلاحظ في معظم الأحيان تغييراً في المسكن بإغلاق الفتحات الموجودة مثلاً في الشرفات.

- في كثير من الأحيان يسبب الضيق، إذ أن عدد الغرف لا يتوافق وعدد أفراد الأسرة.

- نقص أو سوء في وضعية التهوية و التجهيز الداخلي للمنزل.

- وهناك بعض التعديلات بسبب الديكور (الجانب الجمال للمسكن).

إن من الملاحظ على العموم هو أن مواصفات التخطيط لم ترقى إلى مستوى احتياجات وطموحات السكان بسبب عدم توافق النماذج والهندسيات مع نمط معيشة الفرد ثقافته⁽¹⁸⁾، كما أن تمرة النقائص ما هو إلا دليل تهاون المرقبين (promoteurs) عدم احترام المقاييس التي تنص عليها القوانين.

ومن خلال الدراسة الميدانية أتضح أن عدم تجاوب المسكن الجديدة مع ثقافة الأسر الأدرارية وبانعدام شروط الراحة والرفاهية بالمساكن، تحتم على معظم السكان إجراء تغييرات أو تعديلات بمساكنهم وأهم هاته الأخيرة:

- تصليح و تغيير أنابيب الماء والغاز والصرف الصحي وأسلاك الكهرباء

- تغيير البلاط carrelages

- وضع الطلاء الداخلي
- توسيع الأرفقة
- تعديلات على الغرف والمطبخ (مثلاً: تحويل المطبخ لتعويضه بغرفة)
- تغيير التقسيم الداخلي
- تسييح الشرفات
- تغيير الأدوات الصحية كالخرف
- حذف جدار مثلاً بيت غرفتين
- تسييح البستان الخارجي للمسكن من طرف الساكن.

نتيجة لهذه الأخطاء في تصميم مساكن الحي يتحمل الساكن إدخال تعديلات جوهرية في المسكن منذ الأشهر الأولى من استلامه؛ بل قبل سكن بعض الأسر وهذا يسبب الكثير من المشكلات والمضايقات. وتمثل خيارات السكان السابقة فيما يتعلق بالمسكن أهمية كبيرة في الرضا عن المسكن الجديد؛ ففي دراستين مطولتين تمت عن طريق المقابلات مع العائلات قبل وبعد انتقالها من المساكن ذات مستوى منخفض إلى المساكن الجديدة في "وستهام" West Ham وأولد هام Old Ham، كشفت عن أن خبرات الحياة السابقة وتوقعاتها تؤثر في مستوى الرضا عن المسكن، وكيف ان نفس المسكن ينظر إليه السكان بطرق مختلفة⁽¹⁹⁾.

رابعاً- التغييرات والتعديلات المحدثة على السكنات من خلال وجهة القانون⁽²⁰⁾:

جاءت الترقية العقارية لتمكن المواطنين من الحصول على مساكن جاهزة بنوعية أفضل وأحسن. غير أنه من خلال المعاينة الميدانية للكثير من أحياء مدينة أدرار نلاحظ أن هاته المساكن تعرض إلى تغييرات عدة وإضافات. وإذا نظرنا إلى المرسوم رقم 666-83 المؤرخ في 7 صفر عام 1404 الموافق لـ 12 نوفمبر 1983 والمجدد للقوانين المتعلقة بالملكية المشتركة و تسيير العمارات الجماعية فإننا نجد القسم المخصص لاستعمال الأجزاء الخاصة ينص على ما يلي:

- لكل شريك في الملكية الحق أن يستعمل الأجزاء الخاصة التي يملكها وأن ينتفع بها كما يبدو له لكن بشرط ألا يغير بحقوق الشركاء الآخرين في الملكية والمحلات الأخرى، وألا يمس بوجهة العمارة، وألا يقوم بأي شيء يمكن أن يعرض متانة العمارة للخطر.
- يعتبر شكل التغيير "الغير قانوني" كتحدي للمجتمع المدني أمام عجز السلطات العمومية في إيجاد حل لمشكلة السكن. وفيما يخص التعديل أو التغيير هذه المادة تنص على أنه بإمكان المستعمل تحت مسؤوليته وفي حدود القوانين والتنظيمات أن يعدل - كما يبدو له - الهيئة الداخلية التي يملكها غير أنه يجب عليه، في حالة ثقب جدران ضخمة فاصلة بين الحجرات أن ينجز هذه الأشغال تحت مراقبة رجل مهنة، ويجب عليه أن يتخذ جميع التدابير اللازمة لعدم الإضرار بمتانة العمارة، وسيكون مسؤولاً عن كل ما يمكن أن يترتب على هذه الأشغال من حالات انسياح أو تدهور في البناية⁽²¹⁾.

وأخيراً يتضح أن تحول العائلة من الحياة الريفية إلى الحياة الحضرية وإلى نمط المساكن الجديدة يفرض عليها السعي الدائم نحو التكيف والتأقلم معها بإجراء التعديلات والتغييرات على المسكن رغم الأخطاء الهندسية والنقائص

الأخرى، لتجعله يلبي حاجياتها الأساسية على الأقل؛ وذلك حسب إمكانياتها المادية والمعنوية لضمان بقائها وتحقيق التكامل الأسري على قدر الإمكان ومن أجل ممارسة انشطتها وعلاقاتها الاجتماعية

الخاتمة

إن الاستعانة بالتصميم الغربي للمساكن "المسكن" مجرد هيكلي يمكن أن يتكرر ولا يتماشى مع ثقافة المجتمع ونمط معيشة الأهلي (الأسر الأدرارية تتميز بكون حجمها، وحجم الفضاء السكني ضيق) وهذه النمادج تظهر في التجمعات السكنية الحضرية الجديدة (ZHUN) والأحياء السكنية المستجدة التي انتشرت في أطراف المدن كحل لمشكلة السكنية المستحكمة. وغالباً ما يكون للعوامل الشخصية أثرها في الرضا عن المسكن، مثل الخبرات السابقة للسكن، ودرجة تكامل الفرد مع المجتمع، والجماعات المرجعية (الأصدقاء الدائمين)، واتجاهات الفرد الاجتماعية والنفسية نحو المجتمع عامة، والتقاليد، بالإضافة إلى مستوى الطموح.

وعلى الرغم من أن شكل المسكن الجديد يعد من الناحية الطبيعية أفضل من المسكن التقليدي (النمط القديم) السابق، من حيث مواد البناء، وتوفير التسهيلات الحضرية مثل الكهرباء، والمياه، والصرف الصحي، وغيره ذلك أن إلا أن الملاحظة الميدانية تشير إلى أن هناك شعوراً بعدم الرضا عن المسكن الجديد، وخاصة لدى المسنين الذين عاشوا المسكن التقليدي مدة طويلة. فمزال المسكن القديم يشغل حيزاً أنيساً من ذاكراتهم. فالنساء المتقدمات في العمر، واللاتي هن من أصل ريفي، يذكرن كيف أنهن لا يستطعن تحمل الجلوس في هذه المساكن الضيقة وقتاً طويلاً، حيث يشعرن بالحنين للراحة التي كن يتمتعن بها في حوش المسكن القديم، والجلوس في الهواء الطلق، وكيف يفقدن جيرانهن وجلساتهن، وكيف أن المسكن الجديد أدى إلى إرباك روتين نمط حياتهن التقليدية والاجتماعية الماضية.

تبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال المقابلة والملاحظة الميدانية تبين لي أن هذه العائلات تسعى إلى النمط السكني التقليدي الذي يشمل كل الوظائف التي كان يجب مراعاتها في تصميم هذه الوحدات الجديدة كما أن الحصول على الملكية هو أمل كل عائلة التي تعتبر الدافع في إجراء التعديلات في المسكن، وقد لاحظت أضرارها وكيف تلجأ العائلة إلى إحداث تعديلات في المسكن بداية من صالة الاستقبال إلى النوافذ والمطبخ أما العامل الذي يتحكم في هذه التعديلات فهو المستوى المادي للأسرة، وتجدر الملاحظة أن درجة تكيف الأسر مع هذه المساكن يختلف باختلاف الأصل الجغرافي الريفي أو الحضري الذي عيشته، وقد تبين أن الأسر الحضرية سريعة التكيف مع هذا النمط عكس الأسر الريفية يكون تكيفها بطيئاً.

والمسكن الجديد يمثل موقفاً اجتماعياً يحفز الأفراد والأسرة على مراجعة مواقفهم، وإعادة التكيف عن طريق البحث عن حلول جديدة أو تعديل اتجاهاتهم وأفكارهم. وتشير الملاحظة الميدانية إلى أن هذا النمط من المسكن لا يلقى رفضاً مطلقاً، وإنما هناك ما يشبه ما أسماه "كينث فرا ميتون" بالوعي الذاتي، الذي يتميز بقيام الأفراد والجماعات عند الاستعارة من الثقافات الأخرى بتفكيك وفهم جديد، وتكيفهم حسب تصورهم، وحسب منظومة القيم التي تجمعهم.

قائمة المراجع:

- * حي " أحمد دراية " الذي هو حديث النشأة عام 2000، يتكون من 140 مسكن وهو عبارة عن مجموعة شقق متراسة متشابهة بها غرفتين ومطبخ وفناء واسع تتميز باللون الأحمر من الخارج، يسكنه ذوي الفئات العمرية الشبابية حديثي الزواج، عاملين بقطاعات رسمية وذوي مستوى تعليمي عال، لكونه جديد فجميع التجهيزات به غير كاملة البناء ما عدا المدرسة الابتدائية، الحضائنة، دكاكين المواد الغذائية، خدمة الهاتف، الماء، الكهرباء أما البريد والمواصلات، المستشفى، السوق،.... فهي في طريق الانجاز.
- (1) سامر عكاش، تنظيم العمارة وتجربة الحياة اليومية ، مجلة المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، العدد(247)، 1999، ص 106 .
- (2) محمد حمداوي، مجلة إنسانيات، المجال السكني العائلي في الوسط الريفي التقليدي، مركز البحوث والدراسات الانثروبولوجيا وهران. العدد السابع 2001 ص 53.
- (3) نظير أبو عبيد، المشهد المكاني كمفهوم سلوكي بيئي في تحليل التواصل مابين العمارة والمجتمع ،مجلة المستقبل العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ،العدد(248)، 1999، ص 132.
- (4) محمد السويدي، بدو الطوارق بين الثبات والتغير، "دراسة سوسيو انثروبولوجية في التغير الاجتماعي" المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 57.
- (5) عبدا لرءوف عبد العزيز الجرداوي، الإسكان في الكويت مطابع دار الخلود ، الطبعة الأولى، 1999، ص 212.
- 6) -NAVEZ –BOUCHANINE F.Habiter la villemarocaine, l'harmattan, Paris, 1997 p: 75.
- 7) -12MICHAEL PACIONE , urbain geography, a global perspective , routedge, london , New York, 2001.p33.
- (8) سولمية نورية، الساكن السكن المحيط والممارسات والمتمتلات، رسالة ماجستير في الانثروبولوجية، (غير منشورة)، معهد علم الاجتماع، جامعة وهران، 2002، ص 56.
- (9) عبدا لرءوف عبد العزيز الجرداوي، الإسكان في الكويت ، نفس المرجع السابق، ص 29.
- 10)-MOUSSAOUI A , Espace et sacré au Sahara, CNRS, Paris, 2002. P ;37.
- (11)المصدر: تحقيق ميداني جانفي 2014.
- 12)-RAPOPRT. A, POUR UNE ANTHROPOLOGIE DE LA MAISON, PARIS, BORDAS, 1972, P 24.
- 13)-HADJIDJ.E L'habiter la spatialisation des modes de vie, revue sciences humaines n=17 Constantine, juin 2002, P: 379.
- 14)-BENYOUCEF.B ,lem'Zab: Espace et société, Alger, Ed Urbaine , pp 63-67P 130.(non date).
- 15)-HADJIDJ.E, OPCIT, P 381.
- 16)-LAKJAA A, Modes d'appropriation de l' espace residential en milieu urbain ,l'habitation dans le budget des ménages algériens-1959a1989, document du CRASC ,février 1995, p :21.
- 17)-RAPOPORT. A, OP CIT, P: 85.
- (18) -الجريدة الرسمية للجمهورية ج. الثلاثاء 10 صفر عام 1404هـ . ص 2879 ع : 47
- (19) الجريدة الرسمية للجمهورية ج. ملخص من المادة 11، نفس المرجع، ص 49.
- 20)-MICHEL CORNATON, les regroupements de la décolonisation en Algérie OP CIT, P: 34.
- (21) -سامي محمد شيخ ديب، تطور الفكر التخطيطي في تصميم المناطق السكنية في القرن العشرين، رسالة ماجستير (غير منشورة) كلية التخطيط الإقليمي والعمران، جامعة القاهرة، 1993، ص 53.